



الثقافة

والهوية والوعي العربي

د. محمود الضبع



الثقافة
والهوية والوعي العربي

د. محمود الضبع

بتانة

الطبعة الأولى 2016

الضبع، محمود
الثقافة والهوية والوعي العربي / محمود الضبع -
القاهرة، بتانة، ٢٠١٦ م
٢٦٦ ص، سم.
تدمك: ٩٧٨ - ٩٧٧ - ٨٥٢٤٩ - ٩ - ٤
١-الثقافة العربية.



مبنى الجريك كامبس
١٧١ شارع التحرير. باب اللوق
الرمز البريدي: ١١٥١١
info@battana.org

رقم الإيداع
2016 / 9631
الترقيم الدولي
978 - 977 - 85249 - 9 - 4

الفصل السادس

الثقافة والهوية الثقافية

والتنوع الذي يصل إلى حد التعددية داخل الحقل الواحد من الحقول المعرفية التي تم تحديدها سابقا، والتعددية على مستوى الاقتصاد، والبيئة، والإقليم، والتنظيم الاجتماعي، ومن ثم التقدم والتخلف الناتجين عن الأصول المعرفية، وكيفية التعامل معها وإمكانات تطويرها وإضافة إليها من عدمه .

وقد ركز إعلان مكسيكو⁽¹⁾ بشأن الثقافة في البند الأول من بنوده على أن التعددية الثقافية «تشكل جوهر الذاتية الثقافية حيثما تتعايش تراثات مختلفة»؛ وأن «إهمال ثقافة أى مجموعة أو تدميرها ينطوي على خسارة وإفقار للبشرية جمعاء».

الثقافة / التنوع :

يعد التنوع سمة
طاغية من سمات
الثقافة - أية ثقافة - ،
التنوع في الأصول ، وفي
الفكر والصياغة، وفي
النتاج .

1 - يمكن العودة في ذلك إلى أوراق عمل المؤتمر العالمي الثاني عن الثقافات السياسية - اليونسكو- والمنعقد في المكسيك - 26 يوليو 1982 م .

وتقتضي هذه العبارة الصريحة ضرورة احترام وقبول ثقافات الآخرين، وهو ما يفترض توفر مبدأ التسامح الذي يؤدي في آخر الأمر إلى السلام بين الشعوب المختلفة، وبين الجماعات المتباينة ثقافياً داخل المجتمع الواحد. وهذا ما يمكن إدراجه تاريخياً على الثقافة العربية الشاملة السائدة في العالم العربي بمختلف شعوبه.

فإذا كانت الثقافة العربية تركز في وحدتها على المعتقد واللغة والتراث وبنية العقل على نحو ما، فإن هذه الوحدة العامة، تنطوي على قدر كبير من التنوع اللغوي والعرقي بل والديني (كعقيدة)، وهو تنوع مرتبط بتمايز الجماعات الفرعية داخل الوحدة الكلية.

والتنوع على هذا النحو لا يعد عيباً، ذلك أنه سمة عامة في كل الثقافات العربية وغير العربية، فمن يسهمون في صياغة الثقافة دوماً لا ينتمون إلى أصول معرفية واحدة، ولا إلى بيئات تعليمية تعليمية واحدة، ولا يتساوون من ثم في آليات اشتغال العقل والفكر على نمط واحد.

ولكن الأهم في التعددية والتنوع ليس هو التسليم بواقعها، وإنما كيفية التعامل معها من خلال مشروع / مشروعات ثقافية محددة الأهداف والأطر، تستطيع تفهم الواقع الثقافي في ارتباطه بالواقع الاجتماعي والسياسي من جهة، والسعي نحو صياغة تقدمية لتطوير الوضع الحالي من جهة أخرى، وتلك هي الأزمة الحقيقية للثقافة العربية في تاريخيتها ومستقبلتها، إذ يظل العمل الفردي وغياب المؤسسة والعمل المؤسسي على أقل تقدير هو السمة الغالبة المهيمنة، ومن ثم فإن أي مشروع ثقافي لا ينطلق من هذا الوعي فهو مهدد بالفشل قبل أن يقوم، فواقع الحياة المعاصرة يقتضي البحث في آليات ما قبل الثقافة قبل الانسياق في تطويرها.

إن الأمر على هذه الشاكلة يقتضي رصد بعض النقاط الجوهرية التي تمثل بعداً لا يمكن تجاهله مثل: إعادة النظر في رؤية الثقافة العربية للثقافات الأخرى

والبحث في رؤية الثقافات الأخرى للثقافة العربية، والتاريخ الإسلامي يزخر بعشرات المواقف التي تكشف عن موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى فيما يتعلق بالعقائد والممارسات الحياتية والتقاليد والمحافظة على الحقوق المدنية لغير المسلمين إن فضلوا عدم الدخول في الإسلام، وقد أتى ذلك جميعه بثماره في أزهى عصور الإسلام إنتاجا ثقافيا في العصر العباسي، والأندلسي، والمصري الإسلامي، حيث تمت صياغة الثقافة العربية في هذه العصور، مع ملاحظة دخول غير العرب وغير المسلمين إلى ميدان صناعة هذه الثقافة (ابن المقفع وكليلة ودمنة، وموسى بن ميمون والنحو، وابن منظور المصري ولسان العرب، وغيره مئات الأمثلة والكتب والمؤلفات التي لاتزال تمثل المراجع الأصول حتي الآن). إلا أن المظلة الكبرى التي كان يستظل بها الجميع كانت هي الإسلام والعربية في آن، مع أفاق أرحب للتلقي والاشتغال، ومن ثم لايمكن قياس ذلك على الواقع المعيش الآن للتحويلات التي طرأت على الواقع الثقافي العالمي، ومن ثم غيبة مفاهيم، وإحلال مفاهيم، واشتغال سياسات دولية تسعى لمحو هويات وإقرار هويات على الرغم من انطلاقها من مسلمات التنوع والتعدد الثقافي⁽¹⁾.

ومن جهة أخرى فإن النظر فيما صاغته وتعمل على صياغته الثقافات الأخرى نحو العربية، أمر لايمكن تجاهله، ولايمكن في آن تصنيفه تصنيفا حكما سريعا وسيأتي بالسلب غالبا، فالرؤية القاصرة أو المتحيزة من قبل الآخر (كل من هو غير عربي) قد لا يكون منشؤها محاولة التقليل بقدر ما يكون عدم سلامة ما تم ترجمته من ثقافة عربية إلى هذه الثقافات، وحتى إن كان الأمر يتعلق بقراءته المباشرة في اللغة العربية ذاتها فالأمر لايسلم من قصور المادة المكتوبة، وعدم اكترائها بتوجيه خطاب مباشر أو غير مباشر إلى الثقافات الأخرى للعمل على رصد ملامح الثقافة العربية بما يسمح باستيعابها أو تقبلها على

1 - انظر في ذلك مثلا: تقرير التنمية البشرية للعام 2004 «الحرية الثقافية في عالمنا المتنوع» - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

نحو إيجابي.... فالتاريخ الثقافي العريض للفكر الفارسي لو لم تكن هناك عقول مشغلة بوعي على ترجمته إلى العربية لما كان له ذلك الأثر في تاريخ الثقافة العربية، وقياسا عليه اليوناني والهندي القديم، وغيرهما، فالأمر مرهون دائما ليس بترجمة أو وضع مؤلف، بقدر ما هو ترجمة أو وضع مشروع فكري ثقافي يسمح دوما بوضع الآخر في مساحته النصية من منظور التأثير الإيجابي الفاعل. من هنا فإن التعددية في ذاتها قد لا تؤدي لتعريف ثقافة، وإنما لابد لها من أنساق عامة تنتظم تحتها هذه التعددية، وعليه فإن أية محاولة لتعريف الثقافة في العصر الحالي لا يمكن لها أن تتقدم مالم تضع في وعيها هذه التحولات، ففي عام 1998 م أعلنت هيئة الأمم المتحدة أن عام 2001 م سيكون «عام الحوار بين الثقافات» وجاء هذا الإعلان في بعض أبعاده على الأقل كنوع من رد الفعل المباشر على ما ذهب إليه الكاتب الأمريكي صامويل هنجتون في كتابه «صدام الحضارات» من أن بعض الحضارات اللاغربية - ومنها الحضارة الإسلامية - تمثل تهديدا خطيرا للحضارة الغربية الحديثة ومقوماتها الليبرالية التي تفتقر إليها الثقافات الأخرى.

وبعيدا عن محاولات الرد التي حتما ستكون موجهة لنا نحن العرب ولن يتعدى تأثيرها هذا المحيط، فإن السؤال الأهم هو: ما الذي يسوغ لظهور مثل هذه الأحكام الباطلة والمستعديّة من وجهة نظرنا؟ ألا ينطوي الأمر على أبعاد تحتاج إلى تحليل لابهدف بيان أباطيل ما يقال، وإنما بهدف الكشف عن الأطر العامة للثقافة العربية التي غدا أبنائها أنفسهم يجهلون ملامحها الفارقة، والأخطر، يفقدون الثقة في قدرتها على احتمال التطور، أو بناء مستقبل على نحو ما.

إن ما أعلن في الغرب حول الثقافة العربية، كان له أكبر الأثر في تعبئة المشاعر ضد المسلمين والعرب حتى داخل أمريكا ذاتها، ومن ثم جاءت الرياح مواتية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 م، وغيرها من الأحداث التي

تعاقبت في أمريكا وأوروبا، وبريطانيا، وأفغانستان، وإيران، والدول العربية ذاتها، والتي يتم إلصاقها بالمسلمين حتى قبل أن تعلن جهة مسؤوليتها عن الحوادث، وهو أمر يحتاج إلى تفكير عميق، وجهود ربما لا يمكن لمفكر أو باحث بمفرده أن يتبنى مسؤوليته عن القيام بها.

والأمر الثاني الأكثر خطورة هو تعالي نبرة الدعوة إلى حوار الثقافات، والتقريب بين الثقافات المختلفة على أساس من الفهم والتقدير الصادرين عن الاعتراف بمبدأ النسبية الثقافية، الذي يقضي باحترام الهويات الثقافية لمختلف الشعوب، وهو أمر لا يسلم هو الآخر من اشتماله على أبعاد خفية تسعى لفرض هيمنة ثقافية على حساب أخرى، فهل في المرحلة الراهنة فعلا يمكن القول بأن الثقافة العربية قادرة على الدخول في معترك حوار ثقافات؟، ونعني في سياق التحولات التي طرأت على أساليب ولغة الثقافة (مثلا التكنولوجيا والكتب الرقمية، ولغات البرمجة الخطية ولغة الصورة وغيرها كثير مما تتعامل معه العربية بوصفها مستهلكا لا منتجا).

الثقافة / الهوية:

يعد مفهوم الهوية الثقافية أحد المفاهيم الفضفاضة الواسعة، إذا تمتد حدوده وتشابك مع روافد تاريخية وحاضرة وأصيلة تنتمي إلى مجتمعه، وواردة انتقلت بفعل التأثير والتأثر، ويصل الإرباك مداه في محاولة التعمق الرأسي، حيث يمكن أن تندرج تحته العديد من السمات المتشابهة فيما بينها، أو مع هويات أخرى، كما تندرج تحت الهوية الرئيسة هويات فرعية، وداخل كل منها هويات فرعية عن الفرعية، وهكذا، فمثلا الهوية الثقافية العربية، تندرج تحتها هويات إسلامية ومسيحية، وكلاهما تندرج تحته هويات شعوب، وداخل كل شعب تأتي هويات أقاليمه المكانية والجغرافية، والسلسلة لاتنتهي.

ويمكن تعريف الهوية الثقافية على أنها الملامح أو السمات الفارقة لثقافة ما عن غيرها من الثقافات، بما يجعلها تتميز عن سواها من معارف متجاورة ومتداخلة ومتشعبة.

فإذا كانت الثقافة هي كل ما أنتجه الإنسان من تطوير فكري وعملي، فإن الهوية الثقافية تشترط في هذا الإنتاج أن يكون أصيلا متفردا يعبر عن ملامح فارقة ولايتماهي مع أية ثقافة أخرى، أو على أقل تقدير يمتلك خصوصية ما تفرقه عن الثقافات الأخرى، فالثقافة الدينية الفرعونية مثلا على الرغم من التشابه الواقع بينها وبين الثقافة اليونانية، وبخاصة في فكرة تعدد الألهة، إلا أن كليهما لها سماتها الفارقة الواضحة للعيان، والتي يمكن تعدادها في كل ثقافة منهما، وعلى نحو لايقبل اللبس أو الجدل، وهكذا فكل ثقافة يجب أن تكون لها خصوصياتها الفارقة.

ويمكن رصد السمات الفارقة للهوية الثقافية العربية من خلال عدة جوانب، منها:

1. اللغة:

بوصفها اللغة الأصلية الأم، التي يجيد حاملها التعامل بها، والإنتاج في إطار مرتكزاتها نطقا وكتابة، إذ لايمكن أن يكون هناك مثقف ليس له نشاط كتابي (خطي) على نحو ما، باعتبار الكتابة وسيلة إنتاج ووسيلة نقل معرفة.

ويشترط في اللغة لتكون هوية أن يكون حاملها ملما بها استماعا وتحديثا ونطقا وكتابة بوصفها لغته الأم، ومتمكنا من أسرارها ومصطلحاتها في حدود حقل اشتغاله، إضافة للإلمام بالحقول الأخرى المتجاورة على أقل تقدير، فالمثقف الاجتماعي مثلا بعد إلمامه بلغته العربية الأم، يضم إلى جانب إلمامه بلغة علم الاجتماع (مصطلحاته)، لغة ومصطلحات علوم الفلسفة، وبعضا من العلوم التجريبية، إضافة لمصطلحات العلوم البينية مثل التكنولوجي والمعلوماتية وغيرها، وهذا جميعه بالإضافة لبعض لغات العلوم البعيدة عن

تخصصه مثل الفلك أو الطب أو الفيزياء، ذلك لأن المعرفة الآن لا ينظر إليها بوصفها حقولا منفصلة، وإنما بوصفها نسقا كلياً تتماهى حدوده ولا تنفصل انفصالا قاطعا حادا، يقول مارتن هيدجر: « ليس الحد ما يتوقف عنده شيء ما، الحد كما أدرك الإغريق، ما يبدأ منه شيء ما في حضوره»⁽²⁾.

يضاف إلى ما سبق جميعه أن الفكر التطويري والتجديدي في أي حقل من الحقول يكمن عادة في الحقول بعيدة الصلة، فالكيمياء مثلا يمكن أن تمد النقد الأدبي بأفكار وتحولات في أنساقه قد لا يمكن التوصل إليها في إطار التقوقع داخل إطار الأدب ونقده.

2. الأعراف والتقاليد:

وهي جملة الاتفاقات التي تتعارف عليها الغالبية العظمى من أفراد المجتمع، والتي تختزل الموروث وتضم إليه ما يستجد من سمات يفرضها النموذج الإيجابي للتطور الحضاري.

ومن المعروف أن العربية لها أعراف وتقاليد عريقة في هذا الصدد، بعضها سجلته الآداب والفنون، مثل الحكمة والأمثال الفصيحة والشعبية، والمواعظ، والقصص التراثي والشعبي، والسير والمواويل، إضافة لما دعت إليه الأديان من تقاليد تم إرساؤها عبر قرون من الزمان..... ذلك جميعه يمثل مرتكزا ليس بالهين قياسا إلى كثير من الأمم غير العربية⁽³⁾ التي لا تمتد مرتكزاتها

2 - هومي بابا: موقع الثقافة، المجلس الأعلى للثقافة - مصر - نقلا عن: مارتن هيدجر: البناء والسكنى والتفكير.

3 - الأعراف والتقاليد العربية ترتبط بعدة جوانب، بعضها اجتماعي يعود إلى القيم التي تم إرساؤها بين المجتمعات، وهي متشابهة سواء أكان المجتمع قريبا أم ريفيا أم مدنيا يرتبط بطرق العيش وأساليب التعامل وأساليب التفكير، وبعضها ديني يعود إلى ما دعت إليه الأديان السماوية، وبعضها نفسي يمثل التزاما خلقيا بين الإنسان ونفسه وتواصل في طبيعة العرب، مثل الكرم مثلا، ونجدة الملهوف، ومساعدة المحتاج، وغيرها، وفي كل الأحوال فإن هذه الأعراف والتقاليد معروفة عن العرب منذ العصور الجاهلية أي قبل الإسلام بما يقرب من مائتي عام، أي أنها الآن يزيد عمرها على 16 قرن من الزمان.

الثقافية بشأن الأعراف والتقاليد إلى أكثر من قرن ونصف من الزمان، وإن كان الأمر بالنسبة للعربية يحتاج إلى تأكيد على الملامح، وتناول لهذه الأعراف والتقاليد بوصفها هوية، ودراسة أبعادها وكيفية المحافظة عليها، والأهم من ذلك جميعه الاعتزاز بها، فدراسات علم الاجتماع تشير إلى أخطار خفية عندما تدرس تحول المجتمعات من الريف إلى الحضر مثلا، وكيف أنها في غضون سنوات قليلة تتخلى عن أعراف وتقاليد لاتعرف أنها من صميم هويتها.

3. الموروث الثقافي:

بمعنى الأدبيات المعرفية التي يمثل المنتج الحالي امتدادا لها إن اتفاقا أو مغايرة، ففي رفض القديم كشف عن الانتماء إليه، فعلى سبيل المثال فإن التطور الفني لبناء الشعر العربي مهما حاول الانفصال عن قديم الشعر، فإنه يظل منتما إلى الشعر العربي في مفاهيمه الجمالية التي تم تكريسها من أساليب وجماليات وبلاغات، وإن حملت شكل التطور.

إن الموروث الثقافي حاضر دوما بذاته وبوجوده المطلق عبر البنى العقلية والأشكال الإنتاجية له، سواء أكان هذا الحضور حضورا متجسدا على نحو واضح، أم كان كامنا في النفس متحكما فيما يصدر عنها.

فالتراث العربي يمثل الذاكرة المرجعية، أو الخلفية التي ينطلق منها الفكر الثقافي، سواء أكان هذا الفكر الثقافي متفقا مع معطيات التراث، أم متضادا معه متشاكلا مع مرتكزاته.

ولكي تعبر الهوية الثقافية عن كينونتها الحقيقية فإن حاملها (المتصف بها) لتصدق عليه ينبغي له الإلمام جملة بالتراث العربي في مجال التخصص، والإحاطة علما بالمجالات الأخرى، فالمثقف الديني يجب أن يلم بالتراث الديني على اختلاف تشكلاته (نصوص مقدسة، وشروح وتفسير وفقه وفلسفة وعلوم نشأت مشغله عليه)، ويمتلك معرفة على نحو ما بالتراث

الأدي، والتراث العلمي، وهكذا الحال مع المثقف الفلسفي. ولكن مع العلوم التجريبية التي غدا النظر إليها بوصفها المقياس الأوضح والأسرع للحضارة المعاصرة، مع هذه العلوم فإن المفهوم السابق للتراث لا يكون سليماً، إذ إن الاختراعات الحديثة والمشتغلين بمنتجات التكنولوجيا المعاصرة، لا يحتاجون على الإطلاق إلى معرفة التاريخ الخاص بهذه العلوم، وبخاصة مع الشعوب العربية التي لادور لها في منتجات العلم الحديثة من أدوات ووسائل ونظم وبرمجيات، وهنا يقتضي الأمر أهمية تحويل اقتصاديات البلدان العربية نحو بناء قاعدة معرفية، وتصميم برمجيات تسمح لها بالتواجد على خارطة الهوية الثقافية المعاصرة، وبخاصة أن هذه الخارطة تتقدم إلى الأمام، ولا يمكن لها أن تتوقف عند حد، بل إنها ستمحو من عليها معالم وحدود من لا يستطيع التعامل معها بلغتها أو لغات أخرى مضادة قادرة على الوقوف أمامها.

4. المعتقد الديني:

المعتقد الديني يعد أخطر وأهم ملامح الهوية الثقافية، ويتجسد ذلك من خلال مظهرين، أحدهما يرتبط بالمعاملات، والثاني يرتبط بالأفكار، والأول أوضح وأدل، فالعرب إما مسلمون أو مسيحيون (باعتبارهما أكبر ديانتين من بين ديانات أخرى فرعية)، والمسيحية والإسلام لا يختلفان على المعاملات والسلوكيات، وإن كانت بينهما اختلافات في شأن العقيدة، فكلتاها تدعو إلى الصدق والأمانة والشرف ومساعدة الآخرين، وحسن الخلق، وغيرها من المعاملات السليمة، وكلتاها أيضاً تنفر من الخيانة وارتكاب الخطيئة وغيرها، وهذه السمات سواء الإسلامية، أو المسيحية الشرقية تختلط في كثير من الأحيان مع العادات والتقاليد والأخلاقيات العربية، فمن المعروف أن الديانات السماوية عندما نزلت أبقت على ما هو حسن من ثقافات الشعوب، وعملت على إلغاء ما هو متناف معها، وعليه تتشكل هوية العربي من

خلال معتقده الديني سواء أكان مسلماً أم مسيحياً، على مستوى المعاملات أولاً، وعلى مستوى معالجته الفكرية للقضايا والموضوعات التي يتعرض لها، فالمسلم يتوكل على الله، ويعرف متى يفرق بين التوكل والتوكل - نسيباً تبعاً للوعي - وتلك هوية ثقافية دينية، والمسلم يمارس عقيدته على مرأى ومسمع من الناس، فيذكر الله كثيراً، ويستغفره، ويتوب إليه، ويصلي عندما يحل موعد الصلاة بالكيفية المتعارف عليها الصلاة عند المسلمين، وتلك هوية ثقافية لأنها لا تشترك مع هويات أخرى، فالصلاة الإسلامية تختلف عن كل أشكال وأنواع الصلاة للديانات الأخرى والعقائد الأخرى.

وهكذا يمكن رصد الكثير من الممارسات العقائدية والممارسات الدينية التي تفرق هوية العربي على غيره من الهويات العالمية، وما يكون لذلك من أثره في السلوك ومظاهره في الفكر.

5. القطيعة / الاتصال المعرفيين:

فالثقافة إما أن تحمل قطيعة مع الماضي التراثي، وهو ما يمكن اكتشافه والكشف عنه، أو تحمل اتصالاً معرفياً مع الماضي وهو ما يمكن الكشف عنه أيضاً، فدرجة الصفر للثقافة لا يمكن مفهوماً وشكلاً أن تنفصل عن ماضويتها.

إن الأدب اليوناني منذ آثاره الواضحة التي وصلتنا متمثلة في أعمال يوربيدس وآيسخوليس وسوفوكليس وهوميروس أسس هويته الثقافية من خلال لغته ومضامينه التي يتعامل معها، ففي فكرة الآلهة المتعددة (آلهة للحب، وآلهة للخير، وآلهة للنماء) ما ينسب هذا الأدب إلى الفكر اليوناني، ولا ينسبه إلى ثقافة أخرى. والشعر العربي منذ الجاهلية الأولى ووصول أقدم نصوصه متمثلة في القصائد التي ارتبطت بحرب البسوس والمهلل بن أبي ربيعة وجلييلة بنت مرة، هذا الشعر يمنحنا شيئاً عن البعد الثقافي للمجتمع متمثلاً في ثقافتهم الدينية والاجتماعية، ومعتقداتهم الفكرية وأنماط العيش لديهم،

انظر إلى السمؤال⁽⁴⁾ يقول:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عَرَضُهُ فَكُلُّ رِذَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ
تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ
وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَى وَكُھُولٌ
وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ
لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلٌ
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ إِلَى النِّجْمِ فَرَعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلٌ

فهذا المثل السابق من الشعر يعبر عن واقع ثقافي وفكري وعقائدي للمجتمع العربي القديم في عصور الجاهلية من دعوة إلى المعالي، وحكمة وتفخر وتواصل اجتماعي ومنعة وإباء، ولم تزل بعد آثار هذا النموذج ممتدة ومتحققة في حياتنا حتى يومنا هذا.

أيضا القص على لسان الحيوان - مثلا - على الرغم من التحولات التي طرأت عليه⁽⁵⁾ فإنه يحمل هويته الثقافية الشرقية متمثلة في طغيان الحكمة والموعظة، وعندما كتب في فرنسا على يد لافونتين كان أدبا تغرييبيا، تم التعامل معه على مستوى التلقي بوصفا أدبا غرائبيا، تماما مثلما يتم التعامل

4 - السمؤال بن غريص بن عاديء الأزدي. شاعر جاهلي حكيم من سكان خيبر في شمالي المدينة، كان يتنقل بينها وبين حصن له سماه الأبلق. هو الذي أجاز امرؤ القيس الشاعر من الفرس.. تذكر كتب الأدب أنه ولد سنة 64 ق. هـ وتوفي 560 م.

5 - أصل كتابة القص على لسان الحيوان - كما وصلت أول نصوص يذكرها التاريخ له - في الهند القديمة على يد بيدبا الهندي في كلية ودمنة الذي كتبه للملك الظالم دبشليم لينصحه رمزا، ثم انتقل إلى الفارسية عن طريق الوزير بزر جمهر، ومنه إلى العربية عن طريق روضة بن داؤوبه (عبدالله بن المقفع)، ثم أبدع عليه شوقي نصوصا كان لها أثرها في إحياء هذا النوع الأدبي، ولا يستبعد أن يكون وجود شوقي في فرنسا قد كان له أثره في انتشار هذا الفن وبخاصة لافونتين، وإن كان القص على لسان الحيوان موجود في كل الآداب الشعبية، فالحكايا التي تحكى للأطفال على لسان الحيوان تدخل في إطار هذا النوع من الأدب، وهو ما يزيد الأمر تعقيدا إذ ما الملامح الفارقة للبحث عن هوية ما يحكى سوى الاعتماد على التحليل المضموني بمعنى رصد المفاهيم الثقافية ومجموع القيم والأعراف والتقاليد والأخلاقيات التي تسمح بانتساب هذا القص إلى ثقافة أمة دون غيرها.

مع الأساطير اليونانية في الفكر العربي.
كذلك الأدب الأندلسي بعامته له هويته الثقافية شكلا في الموشحات
والمسمطات والمخمسات⁽⁶⁾، وموضوعا في الحب والتغني بالمحبة وأثرها
على المحب، وحتى فيما يتعلق بالخمرة والتغني بها.

ومثله الأدب الشيعي الذي لاتخرج موضوعاته عن البكاء والنحيب على مقتل
الحسين عليه السلام، ووقعة كربلاء، وما يتعلق بها من أحداث تاريخية.

6. الأشكال المادية للحياة:

وهي أشكال قد تبدو مادية، ولكنها في حقيقتها ترجمة للثقافة السائدة،
مثل طرق المأكّل والمشرب، والملبس (الأزياء) للرجال والنساء والأطفال،
وطرق الاحتفالات بالانتصارات والأعياد والأفراح، وطرق التعبير عن الهزائم
والأحزان، والطرز المعمارية وأشكال البيوت، وأشكال العيش اليومية لديهم،
وهذه الأشكال إجمالا وإن كانت مادية إلا أنها ترجمة لثقافة أصحابها،
بوصفها الناتج عن معارفهم وبيئاتهم، فالملبس الفضفاضة الواسعة في البيئة
العربية هي استجابة لدراسة أحوال المكان والبيئة والاحتياجات اليومية، على
حين يختلف الأمر مثلا في ثقافة الإسكيمو.

وفي الوطن العربي فإنّ الملبس على سبيل المثال يمكن ملاحظته من خلال
الأزياء الشعبية لكل أمة من الأمم العربية حتى اليوم، ويمكن من خلاله
التمييز بين الرجل المغربي والخليجي والفلاح المصري في ارتداء كل منهم

6 - كانت هذه الأنواع موجودة في الأدب العباسي، إلا أن التأثير والتأثر في هذه المرحلة - مرحلة
استواء الأندلس ونضجها الثقافي - لاؤكد إمكانية الأخذ عن المشرق، بل قد يصل الأمر إلى حد
سبق الأندلس فيه.

للجلباب أو العباءة، وكذلك يمكن التمييز بين المرأة المغربية والمصرية الفلاحية⁽⁷⁾ والخليجية من خلال العباءة التي تأخذ شكلا يعطي للمكان هويته.

الثقافة / تشكيل الهوية الثقافية العربية:

مرت الهوية الثقافية العربية بمراحل من التشكيل والتشكل، ثم بمراحل أخرى من التطور، وإن كان الكثير من مرتكزات هذه الهوية قد ظل باقيا يتم توارثه في الغالب الأعم ويضاف إليه، وبخاصة الملامح المرتبطة بالجانب الإنساني والأخلاقي منه على وجه الخصوص، والذي شجعه الإسلام وحث عليه ومجده، مثل الكرم، والشجاعة، والأمانة، وحق الجار، ونصرة المظلوم، ونجدة الملهوف، وغيرها مما ارتكزت عليه الحضارة الإسلامية في نشأتها بوصفه جانبا قيميا.

وإذا كانت الهوية هي السمات الفارقة بين مجتمع وآخر، فإنه يمكن رصد ملامح الهوية الثقافية عبر التاريخ العربي، ولابأس هنا من العودة إلى فكرة العصور التاريخية، على أساس أن كل حقبة تاريخية قد تشكلت فيها ملامح عامة هي في إجمالها تمثل خصوصية للمجتمع العربي.

7- من الملاحظ أننا بخصوص مصر نتحدث عن الزي الفلاحي بالنسبة للرجل والمرأة، ونعنى به أزياء سكان الريف الشمالي، وسكان الصعيد في الجنوب، وكلا الفئتين هو المعبر عن الهوية الحقيقية لمصر بشأن الأزياء، فالمدن الكبرى عادة مثل القاهرة والإسكندرية هنا تفقد هويتها بشأن الأزياء، وهو ما حدث بالفعل، ويظل فقط النازحون إلى هذه المدن من الأرياف والقرى هم الذين يحافظون على أزيائهم التي تمثل هوياتهم، وهكذا الأمر في كل الدول العربية التي تحولت الأزياء فيها إلى النموذج الغربي، الأوروبي والإنجليزي بالنسبة للبلدان العربية في إفريقيا وحوض المتوسط في آسيا، والأزياء الشرق آسيوية بالنسبة لدول الخليج العربي والبلدان العربية في آسيا.... والتأمل يكفي.

الهوية الثقافية في العصر الجاهلي:

العربي الجاهلي تمحورت هويته الثقافية حول جملة من المعارف والقيم والتقاليد التي اقتضتها طبيعة الحياة، وطبيعة التكوينات الاجتماعية للبشر، وبخاصة أن المجتمع كان قبليا في المقام الأول، سواء اعتمد على الترحال، أم أقام في قرى، ومضارب وخيام حول الماء أو قريبا منه، وفي كل الأحوال كانت هناك موضوعات بعينها هي الممثلة لهوية العربي، بعضها يرتبط بالأخلاقيات والقيم والمثل العليا في حياته، وبعضها يرتبط بالانتماء إلى القبيلة والالتزام برأي شيخها والامتناع عن كل ما يشين هذه القبيلة، وبعضها يرتبط بأساليب العيش والمأكل والمشرب والملبس، وبعضها يرتبط بالعقائد، وهكذا يمكن تصنيف ملامح الهوية الثقافية للعربي في العصر الجاهلي في كونها تدور حول:

- المعارف: الأنساب - اقتفاء الأثر - النجوم - علوم الحياة من تربية الحيوان والصيد.

- القيم: بما فيها من قيم إيجابية وسلبية، كما يصدر عليها الحكم المعاصر، إذ هي في أنيتها كانت جميعها إيجابية، ومنها: الكرم - نجدة الملهوف - الحماية - الشرف - العصبية القبلية -..... وغيرها.

- الجانب الاجتماعي المتمثل من جهة في نسق المجتمع وتراكبه الطبقي من أسياذ وعبيد، ومن جهة أخرى في التقاليد التي يمكن رصدها من خلال مراسم الحياة الاجتماعية من زواج واحتفالات ووفاة واجتماعات، وحروب، ومنازلات، وعصبية قبلية وغيرها مما كشف عنه الشعر العربي وقصائده، وكتب التراث التي سجلت لأيام العرب ووقائعهم، وحكاياتهم وأخبارهم، وإن كانت في إجمالها قليلة لأنها كتبت بعد ظهور الإسلام بقرنين من الزمان على أقل تقدير، وهو ما جعل كثير من الملامح لا يتم ذكرها أساسا تخرجاً من الموقف الديني إلا في سياق الاستشهاد بفضل الإسلام على تغيير أنماط الحياة وتحسينها.

• الجانب الديني العقائدي، والمتمثل في عبادة الأصنام لدى الغالبية العظمى من المجتمع العربي وقبائله، وتوزع البقية الباقية بين المسيحية واليهودية وعبادة الأوثان والصابئة والمجوس، وغيرها تبعا للموقع الجغرافي وتجاوره مع حضارات لها دياناتها.

الهوية الثقافية في العصر الإسلامي:

لاشك في أن الإسلام كان له أكبر الأثر على الهوية العربية في جوانب كثيرة، حيث منحها سمات ظلت وستظل مؤثرة في المجتمع العربي والهوية العربية مدى الحياة، وهو ما يمكن رصده من خلال:

• الجانب العقائدي: الذي جاء بعقيدة التوحيد، وهي في حد ذاتها هوية وخصوصية لم تزل تفرق الإسلام وأهله عن بقية البشر في العالم أجمع، وبين الديانات جميعها، إذ إن الإيمان بأن الله موجود، وله في كل مكان وجود، وإن لم يكن له حيز مرئي من الوجود، وأن له ملائكة نورانيين، وأنهم مخلوقون من جنس إرادة الله فقط، وأنه لإرادة لهم إلا الإرادة الإلهية، إضافة إلى أن إيمان المسلم لا يكتمل إلا إذا آمن بالله وملائكته وكل كتبه السماوية وكل رسله من آدم إلى محمد عليهم جميعا السلام، وكل ذلك يعد خصوصية للمسلم والمؤمن، وبما أن الإسلام ظهر أولا في البيئة العربية وآمن به العرب أولا ثم نقلوه إلى الشعوب الأخرى، إذا فإن هذه الخصوصية الثقافية (الهوية) هي من خصوصيات العرب والملاح مشكلة لهويتهم، ومن آمن بها بعد ذلك فهو حامل لبعض ملامح وسمات الهوية العربية الإسلامية.

• الجانب الاجتماعي، فمن المعروف أن الإسلام قد أعاد هيكلة وبناء المجتمع، ونظم العلاقات بين أفرادها، وذلك من خلال نمط لم يكن آنذاك موجودا في أي ثقافة أخرى غير الإسلام، وهو نمط المساواة، إذ لافرق بين سيد وعبد ولابن حاكم ومحكوم، ولابن غني ولافقر إلا بالتقوى والعمل الصالح، وهو ما ألغى

نظام التمايز الطبقي الذي كان موجودا في العصر الجاهلي، ومنح المسلم العربي خصوصية وهوية لم تتحقق لغيره من شعوب العالم، ولم ترد من قبل في ثقافتهم، وحتى الفكر الفلسفي عبر التاريخ بدءا من الإغريقي (اليوناني) لم يتوصل إلى هذا النموذج⁽⁸⁾ من المساواة بين الأفراد، واجتماعهم جميعا حول كلمة رجل واحد يتبعونه لا سياسيا ولا عسكريا، وإنما روحانيا لأنه لا يتكلم عن منطق البشر، وإنما عن منطق الوحي والنبوة، يقول تعالى: «وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (7)» سورة النجم.

• الجانب المعرفي: حيث أضيفت إلى معارف العرب، معارف جديدة أوجدها الدين تعلقت بعلوم اللغة والفقه والدين والسياسة، والأهم في ذلك جميعه أن الإسلام فتح الباب على مصراعيه لتلقى العلوم، ورفع من شأن العلم والعلماء، وعندما تقدم التاريخ بالعرب عاشوا أزهي عصورهم من التواصل الفكري مع الحضارات الأخرى الفارسية والساسانية والرومانية واليونانية، ونقلوا عنها، وترجموا، وأفادوا وأنتجوا، وظهرت علوم ومعارف يحسب للعرب فيها سبق، من كيمياء وفلك وطب ورياضيات ونبات وتشريح وحيوان، وغيرها مما تعترف الحضارات الأخرى بسبق العربية فيها، ولا أدل على ذلك من ترجمة كتب بن سينا في الطب والموسيقى وتدريسها في الجامعات والمعاهد الغربية حتى القرن السادس عشر الميلادي، وإن كان المسار قد انحرف بعد ذلك، وتحولت الأنظار عن العلوم العربية، فذلك بفعل توقف العرب أنفسهم، واستمرار المسيرة في سياق التطور الطبيعي لتقدم العلوم، وهي أمور ليس مجالها هنا، وإنما ما نناقشه هو كيفية

8 - المدينة الفاضلة لأفلاطون ذاتها تقوم على التمايز الطبقي الشديد والتفرقة بين طبقة الأسياد والحكماء وطبقة العبيد.

تشكل هوية ثقافية عربية ذات ملامح فارقة في الجانب المعرفي للعرب، والذي كان للإسلام دور بارز فيه سواء فيما أوجده من معارف، أو فيما دعا إليه ودفع نحوه عملاً بأحاديث الرسول عليه السلام: « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»، و«اطلبوا العلم ولو في الصين»، و«اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»... إلخ.

• الدولة ونظام الحكم: إذ منح الإسلام العرب خصوصية مثلت جانباً مهماً من جوانب الهوية، ونظمت الحياة والعلاقات بين البشر، ووضعت القوانين البشرية والسمائية المناسبة لهم، من خلال القرآن الكريم، ثم السنة النبوية المفسرة له، قال تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» (الأنعام:38)، وهو ما منح الدولة الإسلامية خصوصية ثقافية تفرقها عن غيرها من أنظمة الحكم ومن الدول غير الإسلامية.

• قضايا التنمية البشرية: وبخاصة قضايا المرأة، والحريات التي منحها الإسلام لها بدءاً من اختيار زوجها، ومروراً بدمتها المالية، وانتهاء بحقوقها في الميراث، وحقوقها في الطلاق، وحقوقها في حياة خاصة كريمة، وحرية الكلمة لكل البشر، وحرية التجارة مادامت مشروعة لا حرام فيها، وحرية التنقل، وحرية العقيدة ذاتها، يقول تعالى «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» (البقرة:256)، وحق اليتيم في الكفالة، والجائع في الإطعام، وحق البشر جميعهم في الأمن والأمان، والحق في المساواة والعدالة الاجتماعية، وأخذ المظلوم لحقه من الظالم مهما كانت مكانته، وكل هذا يمثل خصوصية لم ترد في ثقافة مجتمع غير الثقافة الإسلامية.

وقد مثلت هذه الجوانب وغيرها سمات الهوية الثقافية للمجتمع العربي في العصر الإسلامي، وبخاصة مع بدايات الإسلام، ثم أضيفت ملامح أخرى تم استعارتها من حضارات أخرى وصبغها بالصبغة العربية، مثل فنون العمارة في

العصر العباسي والفاطمي، إذ لم تكن هذه الفنون من ملامح الثقافة العربية، وإنما أخذها العرب عن الفرس، ثم صاغوها في ثوب عربي وبزخرفات عربية، مستعينين بالقرآن الكريم والسنة والنبوية والشعر العربي، وغير ذلك من سماتهم الأصلية.

إلا أن هذه الهويات الإسلامية وبخاصة في الجوانب المعنوية منها، بدأت في الذوبان مع نهايات العصر العباسي، وشيئا فشيئا مع العصور التالية، ومعه بدأت تتماهى الهوية العربية الإسلامية وتبهت معالمها.

الهوية الثقافية للشخصية المصرية:

الشخصية المصرية شخصية مركبة، تعاقبت عليها حضارات، وصنعت هي حضارات، وتشكلت عبر قرون طويلة من الاستقرار وفي سياق دعائم ونظم، وارتبطت بالمكان وبخاصة نهر النيل الذي كان له كبير الأثر في تكوينها، وتكوينه وقد مرت الشخصية المصرية بعدة مراحل تاريخية تشكلت عبرها هويتها الثقافية يمكن رصدها من خلال جدران المعابد قديما والوثائق التاريخية حديثا:

ففي عصور الفراعنة، عاشت الشخصية المصرية استقرارا دينيا وبخاصة في ظل عقيدة الإيمان بالفرعون الأعظم والمعابد الدينية، واستقرارا اجتماعيا تمثل في تنظيم طبقات المجتمع (الآلهة - الكهنة - الكتاب - الشعب)، واستقرارا ثقافيا تمثل في وجود مدارس ونظم تعليمية يسمح لمن يجتازه بتغيير طبقته الاجتماعية وتولى المناصب، ونظاما عسكريا تمثل في وجود نظام للجيش وحروب وعداوة مع المغيرين على وطنهم، ونظاما طبيا تدلنا عليه عمليات التحنيط التي لم تزل بعد سرا من أسرار الحياة حتى يومنا هذا، إضافة إلى وجود فنون وآداب وإنتاج فكري سجلته جدران المعابد والنقوش والرسوم الفرعونية.

وفي العصر المسيحي، تشكلت الشخصية المصرية في ظل الثقافة المسيحية،

وقُثلت في مصر كل المذاهب، ولم تزل متحققة حتى الآن (كاثوليك - أرثوذكس- بروتستانت)، وهي متعايشة جنباً إلى جنب من جهة، ومتعايشة جميعها مع المجتمع الإسلامي من جهة أخرى، والثقافة المسيحية لها هويتها الثقافية في طقوسها الدينية ومعارفها، ونظامها الكنسي والبابوي، وهو ما جعل مصر تسمى بأرض القبط في بعض المصادر التاريخية، والذي تم اشتقاق الاسم اللاتيني إيجبت منه.

وفي العصر الإسلامي استوعبت الشخصية المصرية الإسلام، وأسهمت في مراحل الازدهار والإنتاج الفكري على اختلاف المذاهب والسياسات والنظم التي مرت على مصر، بدءاً بالفتح الإسلامي على يد عمرو بن العاص، ومروراً بالعصر الفاطمي وتحول مصر إلى شيعية، ثم عودة مرة أخرى إلى المذهب السني على يد صلاح الدين، واستمراراً في مسيرة الحكم الإسلامي فيما بعد تحت ظل المماليك والعثمانيين الأتراك، وما يذكر لمصر من دور تاريخي في الحفاظ على الثقافة الإسلامية من خلال الأزهر الشريف، وبخاصة في عصر الموسوعات عندما توقف العرب عن الإنتاج، وظلت مصر هي المنارة الوحيدة التي تنتج ثقافة، حيث نشأت في هذا العصر مدرسة مصرية شهيرة اختصت بتأليف الموسوعات في شتى علوم الأدب والسياسة والتاريخ والاجتماع والعلوم الإنسانية، وتزعم هذه المدرسة شهاب الدين النويري (ت 733هـ) صاحب الموسوعة الشهيرة « نهاية الأرب في فنون الأدب » وجاءت في 30 مجلداً، والتي نظر فيها إلى الأدب بمفهومه الواسع، والفن بمفهومه العام، وقسمها إلى خمسة أقسام رئيسة، وقد بدأ في السماء والآثار العلوية، والأرض والمعالم السفلية، في الفن الأول. وانتهى بالفن الخامس: في التاريخ، ويشتمل على خمسة أقسام كل قسم تحته أبواب والقسم الخامس خصصه: لأخبار الملّة الإسلامية، وذكر شيء من سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وسيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين. وقد بلغ من

قيمة هذه الموسوعة أن ترجمت للغة اللاتينية منذ القرن الثامن عشر. وكان من أهم الموسوعات التي وضعت في هذا العصر المعجم الأكبر في تاريخ العربية، وهو لسان العرب لابن منظور المصري (ت 711هـ)، والذي لم يأت بعده في تاريخ العربية سوى معجمين فقط حتى يومنا هذا، هما (القاموس المحيط) للفيروز آبادي (ت 817 هـ) و(تاج العروس) للزبيدي (ت 1205 هـ). ومن المعروف أن معجم لسان العرب أشمل معاجم العربية للألفاظ ومعانيها.

كما وضع ابن فضل الله العمرى (ت 749 هـ) - موسوعته التاريخية (مسالك الأبصار) والتي أرخ فيها لكل شئ: الملوك، والعلماء، والوقائع ؛ وتحدث عن: الأقاليم، النبات، الحيوان.. إلخ. وقد كان ابن فضل الله من أصل شامي، ثم توطَّن في مصر وارتبط بها بقية عمره، حتى أن الناصر محمد بن قلاوون، لما أراد أن يعاقبه، نفاه إلى الشام.. ولما رضى عنه، بعد حين ؛ أعاده إلى القاهرة. ويأتي ابن حجر العسقلاني. بمؤلفاته في التاريخ وعلوم الدين، وقد كانت لأعماله أصداء واسعة في أرجاء الأرض. ويذكر المقريزي، أن ابن حجر حين انتهى من (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) أقيم له حفل خارج سور القاهرة، أنفقت فيه على الذبائح وحدها خمسمائة دينار! ويوم الحفل وصلت وفود من ملوك الأرض، تطلب نسخاً من الكتاب.

ثم يأتي علامة عصره جلال الدين السيوطي، (ت 911 هـ). بمؤلفاته التي يقال أنها زادت على 300 مؤلف ورسالة، منها في علوم اللغة (المزهر) وفي علوم الدين (جمع الجوامع) وفي التاريخ (حُسن المحاضرة).. إضافة إلى مؤلفات وكتب جاءت على شكل رسائل، منها: منهل اللطائف في الكنافة والقطائف، در الغمامة في الطيلسان والعمامة، الدوران الفلكي على ابن الكركي.. والوشاح، ونواضر الأييك.

أما في غير الأدب، فقد كانت هناك محاولات سابقة على النويري، تمثلت

في جهود علاء الدين القرشي (ابن النفيس) الذي وضع ما يقرب من عشرة شروح على موسوعة ابن سينا (القانون في الطب) بهدف إعادة بعثها مرة أخرى إلى أذهان المشتغلين بالطب، كما أنه دون أكبر موسوعة علمية في التاريخ الإنساني بعنوان «الشامل في الصناعة الطبية»، كان يتنوي أن تكون في ثلاثمائة مجلد، أنجز منها ثمانين ؛ ثم وافته المنية (687 هـ) بالقاهرة.

هذا النتاج الثقافي وغيره ميز الشخصية المصرية، ومنحها هوية معقدة نسبيًا، وبخاصة عندما أضيفت إليها ملامح أخرى اكتسبتها من أنظمة الحكم الملكي والحكم الجمهوري، وما أكثر التجارب التي تمر بها الشخصية المصرية، والتي تسهم جيلًا بعد جيل في الإضافة إلى هذه الهوية وصقلها بما جعل النتاج العام لهذه الشخصية متراكب يصعب الفصل بين أبعاده، ويقترّب من حد التناقض أحيانًا، فالشخصية المصرية لا تخضع في حياتها لقانون واحد ولا تنتمي في ممارساتها اليومية لتوجه واحد، وإنما تكشف عن نماذج عجيب يجمع بين الديني والدنيوي، وبين الفرعوني والإسلامي والمسيحي وجملة الأعراف والتقاليد التي تشكلت بفعل الممارسات الاجتماعية عبر قرون طويلة، مما أنتج هذه الهوية وجعلها تبدو متناقضة في ظاهرها، وإن كانت غير ذلك في داخلها وفي كنه هويتها / هوياتها.

المحتويات

الإهداء	3
مقدمة	5
الفصل الأول : الثقافة التشكيل	9
الثقافة / الثقافات	9
الثقافة في التراث العربي	14
الثقافة في التراث الغربي	21
الثقافة العربية والتنظير	24
الثقافة / المعرفة	26
الثقافة / من أين:	29
1 - الثقافة المعتقد	32
2 - الثقافة اللغة	35
3 - الثقافة التراث	40
4 - الثقافة والبيئة	50
5 - الثقافة والتربية	54

57.....	6 - الثقافة المنتج الفكري.....
60.....	7 - الثقافة التأثير والتأثر .
65.....	الثقافة / الذات.....
68.....	الثقافة / العقلية العربية.....
73.....	ثقافة الإنسان أمماتها وتشكلها.....
73.....	- ثقافة الجهل.....
76.....	- ثقافة الموروث.....
77.....	- ثقافة العصر.....
78.....	- ثقافة المكان.....
79.....	- ثقافة التأمل.....
81.....	- ثقافة الكراهية.....
83.....	- ثقافة الحرب / ثقافة السلم.....
84.....	- ثقافة الهزيمة الاستلاب.....
86.....	- ثقافة المستقبل /المستقبلات.....
91	الفصل الثاني: ثقافة المثقف / ثقافة الثقافة.....
91.....	الثقافة / المثقف.....
97.....	الثقافة / الثقافة.....
104.....	المثقف / الفعل الثقافي(الإنتاج).....
108.....	الثقافة – المثقف/محاولة للتعريف.....

113 الفصل الثالث : الثقافة والسلطة

113.....الثقافة / السلطة

116.....الثقافة / السلطة / الأزمات

119.....الثقافة والسلطة وثورات الربيع العربي

121.....سلطة التثيف / تثيف السلطة

123.....السلطة والتاريخ ، ماذا سيكتب المؤرخون

126.....هجرة المثقف وتهجير الثقافة

129.....الحراك الثقافي / الحراك السياسي

131.....أنظمة الحكم / أنظمة الثقافة

139 الفصل الرابع : الثقافة والتكنولوجيا

139.....الثقافة - المستقبل -التكنولوجيا / إلى أين

143.....الثقافة / المعلوماتية / مجتمع المعرفة

144.....التغيرات الاقتصادية والسياسية المعاصرة في مجتمع المعرفة

147.....المعرفة والتنمية الاقتصادية

149.....تكنولوجيا الثقافة /ثقافة التكنولوجيا

152.....الثقافة والتكنولوجيا والتحديات المستقبلية

154.....الثقافة والتكنولوجيا واللغة

157 الفصل الخامس : الثقافة والنقد الثقافي

157.....الوعي النقدي

158.....	الثقافة الأدب.....
161.....	الثقافة / التراث النقدي.....
164.....	نشأة النقد المنهجي في الثقافة العربية.....
167.....	النقد العربي التأسيس والتطور.....
169.....	نتاج ثقافي : قضايا نقدية.....
172.....	من النقد العربي إلى النقد الغربي.....
175.....	نقد النقد / النقد الثقافي.....
178.....	النقد الثقافي في الفكر العربي الآن.....
182.....	نحو تصور مبدئي للنقد الثقافي العربي.....
186.....	الخطاب الثقافي في الإبداع العربي المعاصر: أدب محفوظ نموذجاً.....
195	الفصل السادس: الثقافة والهوية الثقافية.....
195.....	الثقافة / التنوع.....
199.....	الثقافة / الهوية.....
200.....	1 - اللغة.....
201.....	2 - الأعراف والتقاليد والقيم.....
202.....	3 - الموروث الثقافي.....
203.....	4 - المعتقد الديني.....
204.....	5 - القطيعة/الاتصال.....
206.....	6 - الأشكال المادية للحياة.....

207.....	الثقافة / تشكيل الهوية الثقافية العربية
208.....	- الهوية الثقافية في العصر الجاهلي
209.....	- الهوية الثقافية في العصر الإسلامي
212.....	- الهوية الثقافية للشخصية المصرية
217	الفصل السابع: سؤال الهوية مرة أخرى
220.....	سؤال الهوية
222.....	نحو تأسيس الوعي العربي
227	الختام والبدء : الثقافة والمأزق الإنساني
230.....	ملامح المأزق الإنساني الثقافي المستقبلي
233	المصادر والمراجع

المؤلف في سطور

محمود الضبع أستاذ دكتور مساعد النقد الأدبي الحديث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة قناة السويس.

بعض المؤلفات (كتب):

- غواية التجريب، حركة الشعرية العربية في مطلع الألفية الثالثة، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ٢٠١٤م.

- طه حسين، لغو الصيف وجد الشتاء، قراءة ثقافية، دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٤م.

- الرواية الجديدة، قراءة في المشهد العربي المعاصر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م.

- أدب الأطفال بين التراث والمعلوماتية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠٠٩م.

- قصيدة النثر وتحولات الشعرية العربية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

- شتاء سيجتمع الأصدقاء، ديوان شعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١١م.

- كتاب النفس والفتنة، ديوان شعر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٣م.

- المناهج التعليمية صناعتها وتقويمها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

تقارير دولية:

- تقرير حالة الشعر في مصر من ١٩٨٠ إلى ٢٠١٠م، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة ٢٠١٤م.
- تقرير التربية في عالم متغير، مؤسسة غرناطة، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٣م.
- تقرير حالة الأدب في مصر، مكتبة الإسكندرية، ٢٠١٥ م

بعض الأبحاث المنشورة:

- اتجاهات التجريب في مشهد الشعر المصري المعاصر، مجلة فصول، ٢٠٠٢م.
- تشكيلات الشعرية الروائية، فصول، ٢٠٠٣م.
- الإيقاع الشعري وقصيدة التفعيلة، مجلة البيان، الكويت، ٢٠٠٣م.
- تحولات اللغة الروائية، ملتقى القاهرة الرابع للإبداع الروائي العربي «الرواية العربية الآن» - المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ٢٠٠٨م.
- سؤال الهوية والتأسيس السردي في أدب علي الدوعاجي، اتحاد الكتاب التونسيين، تونس، ٢٠٠٩م
- الشعر المعاصر وآليات التلقي، مجلة العلوم الإنسانية، الكويت، ٢٠١٠م.
- الفكري والفلسفي في أدب نجيب محفوظ، دورية نجيب محفوظ، ٢٠١٠م.
- «الرواية والتطور التكنولوجي أفق مفتوح أم مأزق حضاري»، ملتقى القاهرة الدولي الخامس للإبداع الروائي «الرواية العربية إلى أين؟»، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ديسمبر ٢٠١٠م.
- آليات اشتغال الديني في الخطاب الشعري، قراءة ثقافية في تناس الشعر، الأردن، ٢٠١٢م.
- السيرة الذاتية وسرد الذات بين الواقعي والتمثيلي الروائي، ملتقى الشارقة التاسع للسرد العربي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢م.

- حضور التاريخ المنسي في الرواية العربية المعاصرة، ملتقى الباحة الخامس للرواية العربية «الرواية العربية الذاكرة والتاريخ»، السعودية، ٢٠١٢م.
- المتخيل السردي وأسئلة ما بعد الحداثة في السرد العربي المعاصر، مؤتمر عمان الأول للسرد «السرد وأسئلة الكينونة»، مسقط، ٢٠١٢م.
- تنوع الحضور الثقافي في النص المحفوظي، الملتقى العربي للسرديات، تونس، ٢٠١٤م.
- اتجاهات أدب الأطفال في نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة، مجلة دواة، العراق، ٢٠١٤م.